مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث

مسابقة الشباب العربي
للبحوث والدراسات الدينية

الدورة الرابعة
2016

الغرب والإسلام:
الخوف المتقابل

الأرضية العلمية

مسابقة الشباب العربي

للبحوث والدراسات الدينية

الغرب والإسلام:

الخوف المتقابل

الأرضية العلمية

الأرضية العلمية لمسابقة الشباب العربي لسنة 2016

الغرب والإسلام: الخوف المتقابل

يقترن الإسلام في الوعي الجمعي الغربي بمنظومة من التمثلات والصور الذهنية الحاضرة باستمرار في وسائل الإعلام وقنوات تشكيل مخاييل الرأي العام، إذ تنعكس صورته في مرايا متعدّدة، وعلى أكثر من مستوى؛ بيد أن الصور الأكثر حضوراً لا تسعف في بناء تصوّر عاكس لحقيقة "الآخر" المسلم في الذهنية الغربية، بقدر ما تعمل على إعادة إنتاج متخيَّل اختزالي ذي طابع تبسيطي، مستوحى من مسبقات ومواقف جاهزة تعود إلى قرون خلت من تاريخ العلاقات بين عالميْ الإسلام وأوروبا المسيحية؛ فليست الصور الرائجة عن المسلمين في الغرب وليدة صراعات الراهن وانفجاراته الدامية، وإنما هي قوالب ذهنية تمتاح من خلفيات سياسية ومصلحية وثقافية تمد جذورها في ترسّبات الأحداث والصراعات التاريخية، وفي الخطابات الدينية الشمولية والمسيسة التي ضُخت ولا تزال في جسد ثقافتنا، وكذلك في الخطاب الاستشراقي المؤثر بسيكولوجيته في صناعة النظرة الغربية تجاه الإسلام والثقافة الإسلامية. فينعكس تصوير الإسلام داخل النسق الاستشراقي الكلاسيكي صوراً نمطية يقدَّم بها الإسلام والمسلمون في معظم المنابر الإعلامية ووسائط التواصل الجماهيري ذات التأثير النافذ في تشكيل تصوّرات الرأي العام الغربي وهندسة مخياله وبلورة اتجاهاته وقناعاته.

يبدو الأمر كما لو أن أطروحات الاستشراق الكلاسيكي في شقّه الاستعماري تمدِّد مُقامها في اللاشعور الجمعي الغربي، لتحافظ المدوّنة الاستشراقية على سلطتها المعرفية حول الإسلام والمعرفة الإسلامية في البلدان الغربية، على الرغم من كل الانتقادات التي وجهت إلى الاستشراق والمعرفة الاستشراقية. وهذا أمر يجد تفسيره في كون تهاوي القلعة الاستشراقية بفعل ضربات معاول النقد ما بعد الكولونيالية وتجدّد حيوية العلوم الإنسانية والاجتماعية، أفرز "حقولا معرفية" تعنى بدراسة عالم الإسلام اعتماداً على الدراسات الثقافية والسياسية والمعاينات المونوغرافية و"أنثروبولوجيا الإسلام"، وضمنها دراسات خاصة بما يصطلح عليه "الظاهرة الإسلامية"، تشبّع كثير منها بالإرث الاستشراقي، فلم يعمل على التحرّر من سطوته، ولا كلّف نفسه عناء إيلاء الاهتمام اللازم لتشعّبات هذه الظاهرة وتعقّد تركيبتها ومسار تحوّلاتها، حتى أن كثيراً منها

يعمد إلى إبراز التيارات المتطرفة والعنيفة وإشاعة مواقفها وجهالاتها، مع نزوع نحو التعميم تصريحاً حيناً، وتلميحاً في أحايين أخرى، بل إن التعميم والتنميط غالباً ما يشملان عموم المسلمين حين يحمَّلون المسؤولية الجماعية عن جرائم يقترفها بعض المحسوبين عليهم، إذ يتمّ استحضار صورة قروسطية حول الشرق عموماً، وعالم الإسلام على وجه الخصوص، فتبدو صورة الإسلام جوهرانية، عتيقة وثابتة تنغرس جذورها في تاريخ الصراع على المواقع والنفوذ بين الإمبراطوريات الإسلامية ونظيرتها الأوروبية، ويتم استدعاء كل الصور النمطية المسيئة القابعة عنه في الذاكرة التاريخية الغربية، لتعضِّد نظريات صدامية وإمبريالية ثبت بؤسها وهشاشتها العلمية ولتُغذّي الحاجة إلى غيرية **Altérité** مفارقة ومختلفة تحفظ إجماع المخيال وتحافظ على اللحمة الداخلية.

وإذا كان الخطاب الاستشراقي التقليدي قد تعرض لإعادة نظر في جهازه المفاهيمي ومنهجيته العلمية، من خلال تراكم الدراسات والبحوث ضمن تيار ما بعد الحداثة ونقد الإرث الكولونيالي، فإن رافدا آخر من روافد البحث العلمي حول الشرق والإسلام قد أخذ المبادرة اليوم، ليحل محل الجهد الاستشراقي التقليدي. يتمثل هذا الرافد الجديد في مراكز الأبحاث والدراسات (things things) التي أصبحت جزءا من آلية صناعة الصورة الغربية عن الشرق والإسلام، عبر مفاهيم علمية جديدة تم استحداثها؛ وهو ما يدعو إلى طرح تساؤلات حول ما تغير وما ظل ثابتا في هذه الدينامية العلمية الغربية منذ الإسهامات الاستشراقية المبكرة.

مقابل هذه الجهود الغربية في دراسة الإسلام والشرق، والتراكم النظري والتطبيقي الذي حصل حتى اليوم، وكان خلف إنتاج ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، يلاحَظ الغياب الكبير لمثل هذه الجهود على الصعيد العربي والإسلامي، التي تنكب على دراسة الغرب وإنتاج تصور علمي عنه. فما عدا شتات من المقولات شبه النمطية والانطباعية المتفرقة عن أوروبا والغرب في الأدبيات العربية- الإسلامية، لم يكن هناك تقليد علمي بالمعنى الدقيق للكلمة، يختص في حقل الدراسات المتعلقة بالغرب، بمثل ذلك التقليد الاستشراقي الذي تطور طيلة أزيد من قرن وتفرع إلى مدارس وتيارات.

ومع ذلك، يمكن القول بأن الغرب بقي حاضرا بطريقة استبطانية في مجمل الإنتاجات في الثقافة العربية الإسلامية، التقليدية والحديثة والمعاصرة، وصار هذا الحضور أكثر بروزا مع مطلع القرن

الماضي، عندما طرحت قضية النهوض العربي والتجديد أثناء الاحتكاك بأوروبا، حيث أمكن تشكيل صورة معينة عن الغرب في الذهنية العربية والإسلامية.

بيد أنه إذا كانت تلك الصورة التي عكسها النهضويون العرب عن الغرب في النصف الأول من القرن العشرين صورة مشرقة، بفعل النزوع العربي إلى اقتحام العصر ودخول الحداثة والخروج من الارتكاس، فإنه سرعان ما حلت صورة مغايرة لذلك الغرب، من خلال الأدبيات التي أنتجتها الجماعات الدينية منذ مرحلة الستينيات من القرن الماضي؛ ثم ما فتئت تلك الصورة أن أخذت أبعادا أخرى أكثر حدة وتشددا، مع الجماعات الجهادية، الأمر الذي يسمح لنا بالحديث عن بداية ظهور "الغربوفوبيا"، قياسا على الإسلاموفوبيا.

والحال أن لا بداهة في التصوّريْن معاً ولا وجاهة، وأن الصور النمطية المتبادلة ما هي إلا مجموعة من الانطباعات ومنظومة من التمثلات الذهنية التي توظف من قبل تجّار الحروب وسماسرة الأيديولوجيات للاستثمار في الخلافات والتكسب من تأجيج النزاعات، وتعميق سوء الفهم الكبير بين الشعوب و"الثقافات".

وإذا كان معظم الشعوب في عالميْ الإسلام والغرب يجنح نحو التعايش والمحبة والسلام، فإن المتطرفين في هذين الفضاءين الحضاريين لا يألون جهداً في هدم صروح المشترك الإنساني، وفي تقديم نماذج صادمة من الحقد والبغض والكراهية. والواضح أنهم ينجحون في بلوغ مبتغاهم من حين لآخر، بدليل زلزال الحادي عشر من سبتمبر 2001، والهزات الارتدادية العنيفة التي هزّت العالم في أعقابه، وبمؤشر تنامي الإسلاموفوبيا جرّاء تداعيات صراعات الشرق الأوسط على المنظومة الغربية، وجراء الكثير من التدخلات اللاأخلاقية والنفعية من الآخر في العالم الإسلامي والشرق الأوسط على وجه الخصوص. إذ تكشف استطلاعات الرأي الأخيرة تزايد مشاعر الرفض للمهاجرين والخوف من "الآخر"، وكذلك تزايد الحنق والكراهية للغرب. ويبدو المسلمون في الغرب في قلب هذه العاصفة الهوجاء التي لم يهدأ هديرها منذ سنوات، إذ صار الإسلام مقترناً في المخيال الجمعي الغربي بالعنف والتعصب والتطرف والتخلف. وبينما يُنظر "إسلامياً" إلى أن ذلك نتيجة حتمية لآلة إعلامية تمارس التزوير والتضليل ولا تتورع عن خلق رأي عام مرعوب من "الخطر الإسلامي"، تعتبر فئات عريضة من الغربيين أن هذه الصورة السيئة للمسلمين في المجتمعات الغربية ليست إلا انعكاسات طبيعية للأصل، مستدلة على ذلك بأنماط عيش وتفكير وممارسات بعض المسلمين الغربيين من "أصول مهاجرة". وفيما تزداد شدّة شرارة الرهاب من الإسلام، تبدو

النماذج التفسيرية للظاهرة عاجزة عن تقديم مقاربة موضوعية عميقة لدراسة الإشكالية وفهم تعقيداتها وطرح السبل الكفيلة بمعالجتها.

لقد تصاعدت موجات الإسلاموفوبيا إلى الحدّ الذي غدا معه المسلمون يطرحون السؤال نفسه الذي صار عنواناً للخطاب السياسي والثقافي الأمريكي في أعقاب الأحداث الإجرامية التي هزّت نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من سبتمبر 2001 "لماذا يكرهوننا؟". ومثلما وجِّهت بَوْصَلة الأمريكيين حينها نحو تفسير سطحي لهذا التساؤل، عندما تمّ العزف على وتر الفوارق الثقافية والزعم برفض الشعوب التي تكره السياسة الأمريكية للقيم الغربية وحقدها على أنماط العيش ومستويات التقدم المحققة في الدول الغربية، يختار معظم المسلمين اليوم ـ مثارين بخطاب ديني مسيس ــ الخيار الأبسط والأسهل في مقاربة ظاهرة الإسلاموفوبيا محمّلين "الآخر" الحاقد على الإسلام والمسلمين مسؤولية ارتفاع منسوب الاحتقان وتأجيج مشاعر النفور من الإسلام والكراهية للمسلمين. والواقع أن المسألة أكثر تركيباً وأشد تعقيداً، إذ لا جدوى ولا موضوعية في مجابهة الصور النمطية بردود أو تفسيرات نمطية. والمفروض معالجة العوامل الكامنة خلف نشوء الإسلاموفوبيا وذيوعها. فإذا كان معلوماً أن الجهل بالإسلام والاستهداف المغرض لرموزه وتاريخه ومعتنقيه من أهم هذه العوامل، فإن ثمة أسباباً أخرى لا يتسنّى تغيير الصور النمطية المسيئة للمسلمين إلا من خلال الوعي بها والعمل على تجاوزها ومعالجتها، وفي مقدمتها "اختطاف الإسلام" من طرف فئة تستغل الدين سياسياً، وفئات متطرفة تُسهِم بمواقفها وممارساتها في تثبيت الصورة الشائهة عنه في المجتمعات الغربية. فلئن بات كبار السياسيين والمثقفين الغربيين يعلنون بأن الإرهاب لا دين له ويشدّدون على ضرورة التمييز بين الإسلام والإرهاب، فقد صار ضرورياً عدم تجاهل حقيقة أن التطرف العنيف يعطي اليمين المتطرف في الغرب الذريعة لمواصلة حملته الشعواء على الإسلام والمسلمين، ويسهم بقسط وافر في إذكاء نزعة الرّهاب من الإسلام وربطه بالتعصب والعنف والتطرف في المتخيل الجمعي الغربي.

ولذلك، لابد أن تراعي الدراسات حول هذه الظاهرة جميع العوامل التي أدت إلى انتشار ظاهرة الخوف المرَضي من الإسلام، سواء من قبل حملات اليمين المتطرف وأطروحاته أو لوبيات الإعلام ودعاياتها أو مشاريع الهيمنة واستراتيجياتها أو تزايد مشاعر الضيق بالآخر "الغريب" كلما ضيَّقت الأزمات الاقتصادية على "السكان الأصليين" خناقها، أو في خطابات الإسلام المتعددة المسيسة،

والشعبية، والرسمية، التي اختطفت موروثنا الديني عن قصد لصالح مشاريع شمولية، أو عن غير قصد لأسباب مختلفة، وحصيلته من تنامي الخطاب المتطرف.

ولذلك، ومن أجل مقاربة علمية للموضوع، وفي إطار جائزة الشباب العربي التي دأبت على تخصيصها لفائدة الباحثين الشباب، ارتأت مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث أن يتمحور موضوع المسابقة لسنة 2016 حول الإسلاموفوبيا والغربوفوبيا، وذلك وفقاً للمحاور التالية:

<u>المحور الأول: الإسلاموفوبيا وصورة الإسلام في الغرب</u>

- البدايات المؤسسة لصناعة صورة المسلم في العقل الأوروبي

- دور الحركة الاستشراقية (البحث العلمي النظري ـ البحث الميداني ـ الصورة والرسم) في صياغة تلك الصورة.

- جهود مراكز البحوث والدراسات الغربية في عملية إنتاج الصور التقليدية و/أو القطيعة معها.

المحور الثاني: الغربوفوبيا وصورة الغرب في العالم الإسلامي.

<u>المحور الثاني: . الآخر في الثقافة العربية الإسلامية</u>

- الخطاب الديني والغرب (حركات الإصلاح الديني . حركات الإسلام السياسي . الحركات الجهادية...)

- الخطاب الإيديولوجي والغرب (التيار القومي العربي . التيار الماركسي العربي . الحركات اليسارية...)

الجدول الزمني:

- آخر أجل لاستلام استمارات المشاركة هو: 2016/07/01
- آخر أجل للتوصل بالبحوث النهائية، التي وافقت عليها لجنة التحكيم بناء على انتقائها الأولي من خلال استمارات المشاركة، هو: 2016/11/01
- يعلن على نتائج المسابقة في: 2016/12/15
- البريد الإلكتروني للمسابقة: award@mominoun.com